الفصل الثاني

تاريخ الشعب الصيني وثقافته

هنالك نحو خمسة آلاف سنة من التاريخ الصيني لعلى كل مهتم به دراستها. وفي واقع الأمر، سبق أن نصح جيم هودقسون (Jim Hodgson)، سفير الولايات الأمريكية المتحدة السابق لدى اليابان، كل من ينوي السفر إلى بلاد ما لأغراض تجارية، بضرورة الاطلاع على الجانب المتعلق بها في الموسوعة على الأقل.

نحن إذ نتفق هنا مع السفير فيما ذهب إليه، نرغب في تقديم هذا الفصل كمقبلات لوجبة عامرة تشتمل على كل ما لذ وطاب. وربما كان ما نقدمه فيها من خبز محمص مفروش بالجبن أو الكافيار، كافيًا لمساعدتك، حتى لا تبدو بمظهر الساذج الأبله أمام شركائك الصينيين في أعمالك التجارية. فطالع إذن الموسوعة البريطانية (Britannica) التي تشتمل على مائة وثمانية وثمانين صفحة حول التاريخ الصيني، أو أي كتاب جيد حول هذا الموضوع. فربما أثر فيك ما تكتشفه من معلومات مثيرة وفتح شهيتك للاطلاع على المزيد.

لحسن الحظ (وللمتعة أيضًا) نورد هنا أهم ثمانية عشر شيئًا تلزمك معرفتها عن ماضي الصين. وسوف نتناول في البداية أهم ست شخصيات أساسية في تاريخ الصين. ثم ندلف لاستعراض أهم ستة أحداث أو ست نقاط تحول. ومن ثم نختم مناقشتنا بوصف موجز لأهم ستة عناصر توجه بَوْصَلَة الصين خلال هذا القرن.

الشخصيات الأساسية في المملكة الوسطى:

كونفوشيوس (479 - 551) (Confucius ق. م):

حمل كنق كونق (King Kong)، القرد الضخم فاي راي (Fay Wray)، جيسيكا لانق (Jessica Lang) ونعومي واتس (Naomi Watts) في راحة يده. هل تذكرون مقاتلي كونق فو (Kung Fu)؟ ماذا عن العرض التلفازي السابق (Kung Fu) الذي قدمه ديفيد كارادين (David Carradine) بعنوان "الجندب الصغير"؟

ومن ثم القول المأثور الذي ساقه كونفوشيوس (Confucius): "إن الصورة تعدل ألف كلمة". فكل تلك الثقافة الشعبية والمعرفة التقليدية، قد نشأت من الاسم، الحياة، وتعاليم فيلسوف ومصلح اجتماعي صيني عاش قبل 2500 عام. كان اسمه عند ولادته كونق كي (Kong Qui) أو كونق زونقني (Kong Zhongni) فأطلق عليه مريدوه فيما بعد لقب (كونق فوزى)[1] (Kong Fuzi) تشريفًا له وتعظيمًا. (كلا، بالطبع لايعني هذا "القرد الضخم"، بل أرفع شأنًا وأعظم: "المعلم والزعيم الديني الموقر"). وترجمته اللاتينية: كونفوشيوس (Confu-cius) وهو الاسم الشائع في الغرب اليوم.

لقد أجمع المؤرخون على أن كونفوشيوس (Confucius) ولد عام 551 أو 552 ق. م ليسلب سليلي النبلاء الذين كانوا في المنطقة التي تعرف اليوم بمحافظة شاندونق الواقعة في منتصف المسافة بين شانغهاي وبيجينق، القوة والنفوذ وكل أسباب العزة والمتعة.

وآنئذٍ ظهرت بدايات الصين، غير أن اثنتا عشرة دولة مختلفة أو نحو ذلك، كانت لا تزال تتصارع وتتنافس من أجل السيطرة على الإقليم الذي تشغله الصين اليوم. الأمر الذي أدى إلى سلسلة من الاضطرابات والتغير المستمر.

ربما اعتبر كونفوشيوس (Confucius) نفسه محافظًا مقارنة بالأساليب التي اتبعها (الملوك السابقون)، لكن على الرغم من ذلك، نجد أن الكثير من أفكاره ثورية، بل أكثر من ذلك، سبقت في كثير منها أفكار فلاسفة أوروبا الذين قادوا حركة التنوير(*) مثل جون لوك (John Locke) وبشرت بظهورهم. ومثلما فعل لوك (Locke) انتقد كونفوشيوس (Confucius) توريث السلطة والقرار، مناديًا بضرورة خدمة الدولة للشعب وليس العكس.

لقد قدم كونفوشيوس (Confucius) مبدأ أخلاقيًّا قائمًا على حب الخير للآخرين، يمكن تلخيصه في الفكرة التي تقول: "لا تُكْرِه الآخرين على فعل شيء لا ترغب أنت نفسك في فعله". يبدو هذا منطقيًّا.. أليس كذلك؟ مؤكدًا أن كل مجتمع ينشأ في ظل هذا المبدأ الأخلاقي ينعم بالضرورة بالازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي (أي أنه آمن من أي هجوم). كما يعد احترام التعاليم والعادات والتقاليد وعلاقات القرابة والنسب، دروسًا مهمة في الوقت نفسه.

لم يكن كونفوشيوس (Confucius) أسطورة في زمانه، إذ كان حقيقة ماثلة للعيان، سافر إلى مناطق كثيرة في الأقليم، وألقى دروسه ومحاضراته للكثيرين، لكنه مات وهو في السبعينيات ولم يزل ناصحًا ومعلمًا حديث العهد في مقاطعة ليو، حيث مسقط رأسه. وبعد موته، سارع تلامذته ومريدوه الذين كان بعضهم يشغل وظائف مرموقة، إلى نشر أفكاره شفاهة. ثم كتبت تعاليمه بعد ذلك في شكل أمثال، كأقوال منتقاة لا تزال تعيش حتى اليوم. وقد خدمت تلك التعاليم كأساس للتعليم الصيني لنحو ألفي سنة حتى ثورة الحزب الوطني عام 1911م، التي أزاحت أسرة كينق (Qing) عن سدة الحكم. وظلت معرفة التعاليم الكونفوشيوسية خلال القرنين مطلبًا أساسيًّا للتقدم لشغل الوظائف الحكومية.

(*) حركة التنوير: هي حركة فكرية ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر، وأكدت التفكير العقلاني والطريقة العلمية، والإيمان بأن الجنس البشري يستطيع، من طريقة العقل، الاهتداء إلى المعرفة والفوز بالسعادة في آنٍ معًا (المترجم).

وتشمل قائمة الفلاسفة المهمين الذين كان لهم دور مؤثر في البلاد أيضًا: مو زي (Mo Zi)، منسيوز (Mencius)، يانق زو (Yang Zhu) وغيرهم. إلا أن كونفوشيوس (Confucius) كان، وسيظل، أكثر المفكرين تأثيرًا عبر كل الأزمنة وفي كل الأمكنة. وحتى اليوم، وعلى الرغم من أفول نجم الشيوعية في مهدها الأصلي، لا يزال إحياء أفكار كونفوشيوس (Confucius) يحظى بشعبية واسعة.

كين شي هوانقدي (Qin Shi Huangdi)
أول أباطرة الصين (210 - 260 **ق. م**):

تعد صور الجيش البني على البطاقات البريدية المعروضة في شيان، الواقعة في قلب المملكة الوسطى، والقصور الفخمة الشاسعة التي تساوي مساحة كل منها مساحة ملعب كرة السلة، المحفورة تحت الأرض، بالإضافة لآلاف أفراد الجيش الرمادي والخيل المنتصبة على ارتفاع ست أقدام، التي تبدو متوثبة لخوض معركة، تعد كل تلك المظاهر التي يعود عمرها لأكثر من ألفي سنة، بمنزلة شاهد ثانوي فقط لأسطورة أول أباطرة الصين.

في عام 246 ق. م، عندما صار زينق (Zheng) ملك كين (Qin) الجديد، كان اتحاد الدول المحيطة بها قد بدأ فعلًا. وبحلول عام 221 ق. م، تمكن من غزو كل جيرانه ثم أعلن نفسه أول إمبراطور للصين. ومع ذلك كانت إمبراطوريته منظمة ومرتبة ومكدسة بالأسلحة لدرجة تشبه احتشاد المتفرجين في ملعب لكرة القدم بالبرازيل، ثم بدأ الإمبراطور زينق (Zheng) إعادة تنظيم إمبراطوريته وترتيبها.

في البداية، قسم كل الأراضي التي تمكن من غزوها إلى محافظات، ثم قسم المحافظات إلى ولايات. وألغى كل قوانين الإدارة الإقطاعية المتخلفة، ثم عين هيئات جديدة لتولي الحكم، تقوم على أساس تسلسل السلطة والمسؤولية.

وجعل الأوزان والمقاييس والعملة منسقة لتسهيل جباية الضرائب. كما وحد اللغة لتسهيل انتقال المسؤولين للعمل في مختلف المحافظات والمقاطعات. وبجانب هذا كله، منع الأساليب المحلية للكتابة أو انفراد أي محافظة أو مقاطعة بحروف هجائية خاصة بها دون غيرها من سائر أجزاء الإمبراطورية.

من أجل تشجيع التجارة بين مختلف أقاليم الإمبراطورية، أمر أن تكون لكل عربة كارة تجوب الشوارع (المحور نفسه) من أجل تسهيل الحركة شمالاً وجنوبًا.

وأخيرًا، أمر أول أباطرة الصين ببناء سور الصين العظيم (وفي الحقيقة كان هذا يعني الربط بين مجموعة من الأسوار الصغيرة ومدها وتحصينها) على امتداد الحدود الشمالية للإمبراطورية.

إن الإرث الحقيقي لهذا العمل الشاق، وأول أباطرة الصين الجاد الحازم هذا، هو الصين نفسها. فقد عرف الإمبراطور كين (Qin) في لغة الهند الأدبية القديمة (السنسكريتية) بـ (سيناسثانا) (Cinasthana) ومنه جاء اسم (الصين). كما أن نظام الحكم الذي أسسه الإمبراطور كين شي هيوانقدي (Qin Shi Huangdi) قد ظهر أثره أيضًا في الصين الحديثة. وربما كان الأهم أن توحيده للغة قد وحد روح الصينيين وعقلهم في كل أنحاء العالم اليوم لأكثر من ألفي عام بعد رحيله.

وانق آن - شي (Wang An- shih)، **المصلح الأعظم** (1021 - 1086م):

بعد أفول نجم سلالة كين (Qin) مباشرة، سجل التاريخ صعود نجم أربع سلالات حاكمة أخرى وسقوطها- سلالة هان (Han)، شين (Xin)، شيو (Sui) وتانق (Tang). ثم أعقب زوالها صعود نجم سلالة سونق (Song) التي شهدت تحول الصين إلى إحدى الدول الرائدة في العالم آنئذٍ. ويعزى جل

ما حققته الصين من قوة وازدهار اقتصادي، لأفكار رجل واحد وطموحه، ذلك هو وانق آن – شي (Wang An –shih).

كان وانق (Wang) شاعرًا مشهورًا، لكنه كان موظفًا عاديًّا حتى عام 1069م، عندما عينه الإمبراطور الجديد شين تسونق (Shen Tsung) مستشارًا له. فاستغل وانق (Wang) قربه من العرش ليبدأ تنفيذ اقتراحاته الإصلاحية التي أعدها قبل إحدى عشرة سنة في مذكرة تألفت من عشرة آلاف كلمة.

كان وانق آن – شي (Wang An –shih) حقًّا جون مينارد كينيز (John Maynard Keynes)(*) عصره. إذ كان يؤمن بأن الحافز المادي هو أهم عامل لتقوية الدولة. فابتكر نظامًا خاصًّا لتقليص فائدة القروض الحكومية للمزارعين والتجار على حد سواء لأدنى حد ممكن. كما ضخ العملة لدعم الاقتصاد. وأسس نظامًا فعالًا لضبط المشتريات الحكومية. واهتم برفع كفاءة الأسطول البحري ودعم التجارة الخارجية ووظف المال الذي تم جمعه من الرسوم المفروضة عليها لدعم الاقتصاد.

أما فيما يتعلق بالجيش، فيذكر أن فكرة تأسيس جيش قوي كانت لغزًا حَيَّر كل أباطرة الصين السابقين؛ لأنها تستنزف الاقتصاد، بالإضافة إلى خشية الأباطرة من سطوة الجيش على السلطة، ومن ثَمَّ سيطرته على مقاليد الحكم. أما الجيش الضعيف الهزيل، فيجعل الإمبراطورية عرضة للاجتياح والغزو الأجنبي.

للتوفيق بين هاتين المعضلتين، تفتق ذهن وانق (Wang) عن فكرة رائدة لرفع كفاءة الجيش، إذ قرر إنشاء مكاتب خاصة تعنى بتطوير السلاح

(*) جون كينيز (1883- 1946م): اقتصادي ومالي بريطاني، كان لنظرياته في الاقتصاد تأثير كبير في حكومات الدول الغربية. فهو يرى أن واجب الحكومات أن تصرف جميع جهودها لتأمين دوام العمل الكامل لليد العاملة، وذلك بفضل إنعاش التوظيفات المالية (المترجم).

واستيلاد الخيل وتربيتها، كما ابتكر نظام ميلشيا وطنية جديدة. فكانت تلك القوة المسلحة النظامية المحدودة، التي تدعمها أعداد هائلة من المليشيا، كقوة احتياطية، جاهزة للتدخل عند الحاجة، أفضل فكرة اقترحها وانق (Wang) لخلق التوازن بين الخيارين.

على صعيد آخر، ازدهرت سلالة سونق (Song) في ظل تلك القوانين الجديدة. فازدهرت بالتالي التجارة، التقنية، الآداب والفنون. فعرف الصينيون كل الاكتشافات الأساسية التي سبقت العصر الحديث، كالورق، الطباعة، البارود والبوصلة واستخدموها. وازداد عدد سكان كيفينق (Kai-feng)، العاصمة، ليتجاوز المليون نسمة (يساوي هذا كل سكان إنجلترا يومئذٍ)، وصارت أكبر مدن العالم آنئذٍ من حيث المساحة والثروة.

جنكيز خان (Genghis Khan) **الفاتح المغولي** (1127 - 1262م):(*)

أخيرًا، فشلت الأسوار. لم يستطع سور الصين العظيم مقاومة طموح خان (Khan) العظيم: "مثلما أنه لا توجد غير شمس واحدة في السماء، فبالمقابل، لا يوجد غير زعيم واحد في الأرض". فتمكن هو وفرسانه من الجيش المغولي، من الاستيلاء على بيجينق عام 1215 م، وتسويتها بالأرض، ثم انحرف جنكيز (Genghis) غربًا (فارس وأوروبا) ينشر الدمار والخراب حتى وفاته عام 1227م. فجاء بعده حفيده خوبيلي خان (1215- 1294م) (Khubilai Khan) ليكمل فتح الصين وإخضاعها، فتمكن أخيرًا من السيطرة على الجزء الجنوبي من إمبراطورية سونق (Song) عام 1279م.

خلال حكم الأسرة المغولية، كانت الطرق التجارية البرية بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى، خاضعة لأول وآخر مرة في التاريخ لسلطة واحدة. كما

(*) فاتح وإمبراطور مغولي، بسط سلطانه على منغوليا وفتح شمال الصين، ثم احتل مناطق واسعة في آسيا الوسطى والجنوبية وآسيا الصغرى (المترجم).

تم تحرير التجـارة واتسعت دائرة تأثيرها. ووضع جيش خان (Khan) يده على الزناد دائمًا للسيطرة على بقية أجزاء الإمبراطورية وضبط الأمن فيها. وسمح بتعـدد الديانات والمذاهب، بما فيها المسيحيـة، الإسلام، اليهودية، الطاوية(*)، الكونفوشيوسيـة والبوذية. وأمر خان (Khan) ببنـاء المدينة المحرمة، كما أمر بإكمال حفر القناة الرئيسة إلى الجنوب من هانقزو حتى بيجينق.

لكـن، أخيرًا ازداد عدد المغول وقويـت شوكتهم، فآثروا الحياة في القصور ورغدهـا علـى حيـاة الخيـام وشظفها. فصـاروا أكـثر نعومة بسبـب تحولهم التدريجـي واندماجهـم الصينـي. وبوفـاة خوبيلـي (Khubilai) أفـل نجـم الإمبراطورية الشرقيـة إلى أن أعيد تأسيس القانون الصيني عام 1366م، لكن مع ذلك، فشلت الإمبراطورية في استعادة مكانتها في مصاف الأمم مرة أخرى. كمـا حال الدمار الـذي أحدثه المغوليـون والاستبداد الذي مارسـوه، بالإضافة لتقييـد الحريـات الشخصيـة وروح الابتكار والإبداع، حال ذلـك كله دون تطور الحضارة الصينية. وحقًّـا، ربما كان أعظم إرث تركه خان (Khan) للصينيين هـو خوفهم مـن كل ما هو غريب وأجنبي، وكرههم له الـذي نراه متجذرًا فيهم حتى اليوم.

صن يات – سين (Sun Yat -sen) **أبو جمهورية الصين** (1866 - 1925م):

حافظت أسرة منق (Ming) على ما أحرزه المنشوريون من تقدم للثلاثمائة سنـة التالية. لكن مع ذلك، وقعت الصين عـام 1644م، مرة أخرى تحت سطوة

(*) الطاوية: عقيدة فلسفية، عرفت هكذا نسبة إلى فكرتها المركزية التي تعتمد على المبدأ الأول الذي ينبثـق منه كل وجود وتغير في هذا الكون. أسسـها فيلسـوف صيني يدعـى لاوتسي (Laotse) وتتسم بطابع صوفي. وتقول إن سعادة الإنسان رهن بحفاظه على طبيعته وتحقيقه قدره عن طريق إطراح هموم الحياة، واجتناب الخوف من الموت والعيش ببساطة وعفوية وكأنه طفل من الأطفال (المترجم).

القوى الأجنبية. إذ امتد حكم المانشويين (*) لها حتى القرن العشرين. وكان طبيعيًّا أن تثير ممارسة الأجانب حفيظة الصينيين، مثلما هو حال كل القوى الاستعمارية، فثار الصينيون بزعامة طبيب شاب يدعى صن يات – سين (Sun Yat -sen) معلنين تأسيس جمهورية صينية في قوانقزو عام 1895م. غير أن محاولتهم باءت بالفشل، فهرب زعيمهم صن (Sun) إلى اليابان ومنها إلى إنجلترا.

وفي لندن، قبض عليه عملاء المانشويين فأودع السفارة الصينية. فأرسلت مذكرة سرية إلى طبيب بريطاني كان معلمًا له في هونغ كونغ. فأجريت اتصالات سرية سريعة أمنت إخلاء سبيله. فأدت تلك الحادثة إلى خلق سمعة عالمية لذلك الطبيب الشاب. فقضى الخمس عشرة سنة التالية يدرس السياسة الغربية واتجاهات الغرب الاجتماعية متنقلًا بين اليابان، فرنسا والولايات الأمريكية المتحدة ناشدًا الدعم لقضيته.

وبالعودة إلى الصين، نجد أن نظام المانشويين بدأ ينهار في تلك الفترة بسبب تصاعد وتيرة تمرد الجيش الصيني وثورة الشعب. وأخيرًا، بلغ السيل الزبى، فانفجر الغضب عام 1911 م، لتعلن خمس عشرة محافظة استقلالها. فعاد صن (Sun) لشانغهاي، وخرجت الجماهير لاستقباله بحفاوة كرئيس مؤقت لجمهورية الصين. فبقي كذلك مدة شهرين. أعفيت بعدها حكومته في نانجينق لتحل محلها حكومة جمهورية جديدة في بيجينق، ليسدل الستار بعد ذلك على حكم المانشويين في كل أرجاء الصين.

وهكذا كسب الدكتور صن (Sun) الرهان، فانتهت سيطرة السلالات الحاكمة على الصين إلى الأبد. لكن استدعى الأمر عقدين آخرين من الزمن

(*) المانشويون: شعب منشوريا المغولي الذي فتح الصين عام 1644م وأسس فيها سلالة مانشو الإمبراطورية التي حكمت الديار الصينية من عام 1644م حتى عام 1911م. أما منشوريا فهي منطقة في الجزء الشمالي الشرقي من الصين، مساحتها 1.554.000 كيلو متر مربع. وعدد سكانها 70.000.000 نسمة (المترجم).

مـن الجنرال شيانق كـي – شيـك (Chiang Kai-shek) الـذي كان مقربًا من الدكتـور صن (Sun) لبسـط سيطرته على معظم أنحاء البـلاد بعد تغلبه على مختلف أمـراء الحرب، وعلى كل حال، لقد نجح الدكتور صن (Sun) في غرس بذور الديمقراطية الغربية في أرض الإمبراطورية القديمة الطيبة.

زو إنلي (Zhou Enlai) رجل الدولة (1898 - 1976 م):

إن كان الرئيـس ماو زيدونق (Mao Zedong) يمثل قبضة الثورة الشيوعية المحكمـة ووجههـا الصارم، فقد كان زو إنلـي (Zhou Enlai) يمثل عقلها المدبر وقلبها النابض بالحياة. فحين كان ماو (Mao) يسيطر على مقاليد الأمور، كان زو (Zhou) يضطلع بمهمة المفاوضات.

كان زو (Zhou) قـد تلقـى دروسه في الخـارج، فدرس أولًا في اليابان ثم انتقـل منهـا إلى فرنسا، حيث تعلم الشيوعية. ومثل الحـزب الشيوعي الصيني في الفـترة ما بـين عامي 1921 و 1924 م. ثم عاد إلى قوانقزو لمساعدة صن يات – سـين (Sun Yat-sen)، شيانق كي – شيك (Chiang Kai - shek) والحزب الوطنـي لإحكام سيطرتهم على الشعب. وفي ذلك الوقت، عين زو (Zhou) نائبًا لمديـر الشعبـة السياسية بكلية وامبوا الحربية، في حين عـين شيانق (Chiang) مديـرًا لها. وبحلـول عام 1927 م، طهـر شيانـق (Chiang) اليميني المتطرف، الحـزب الوطني من الشيوعيين، وبالكاد نفد زو (zhou) بجلده. فلحق بـ (ماو) (Mao) في الريف وانضم إليه حيث كان الأخير ينشئ الجيش الأحمر. كان ماو (Mao) يعـرف الفلاحين جيدًا ويـدرك فن الثورة. أما زو (Zhou) فكان يعرف كل الأشخاصـ الآخرين وكل شـيء آخر ماعدا فن الثورة. فشـكّلا بذلك ثنائيًا قويًا حكم الصين حتى وفاتهما عام 1976م.

وبعد المسيرة الطويلة(*) عام 1935 م، فاوض زو (Zhou) الحزب الوطني بشأن التحالف الإستراتيجي للوقوف في وجه الغزاة اليابانيين. لكن شيانق كي شيك (Chiang Kai-shek) عارض ذلك التحالف، فأسرع قادة جيشه لاعتقاله في شيان. فانتقل زو (Zhou) على عجل إلى هناك، فأنقذ حياته بعد أن كان يواجه موتًا محققًا.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، مثل زو (Zhou) الحزب الشيوعي الصيني مرة أخرى برعاية أمريكية لعقد صفقة سلام مع الحزب الوطني، غير أن تلك المحاولة قد منيت بالفشل. وبعد انقضاض الشيوعيين على السلطة في الصين عام 1949 م، فاوض زو (Zhou) السوفيتيين (سابقًا) بشأن معاهدة تحالف مدتها ثلاثون سنة. ثم خرج في خمسينيات القرن الماضي في عدة أسفار شملت أوروبا، آسيا وأفريقيا لحشد الدعم السياسي للثورة. كما شارك في اتفاقية جنيف التي حسمت موضوع تقسيم فيتنام. وقاد خلال ستينيات القرن الماضي الثورة الثقافية (**) للترويج لتعاليم ماو(Mao) فالتقى عام 1971م، هنري كيسنجر (Henry Kissinger) للتحضير لاجتماع الرئيس نيكسون (Nixon) والرئيس ماو (Mao) في العام التالي في بيجينق.

وأخيرًا، وربما كان من أعظم إنجازاته التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم، أنه أعاد دينق شياوبنق (Deng Xiaoping) الذي يعد مصلحًا اقتصاديًّا خلال ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته، لقيادة الحزب الشيوعي الصيني.

(*) المسيرة الطويلة: تراجع إستراتيجي، اضطر الجيش الصيني الأحمر إلى القيام به (1934 – 1935م) بقيادة ماو تسي تونق (Mao Tsi Tong) من مقاطعة كيانقسي في الجزء الجنوبي الشرقي من الصين إلى مقاطعة شنسي في الجزء الشرقي من وسطها، وذلك في وجه تهديد القوات الصينية الوطنية، بقيادة شيانق كي – شيك، بالانقضاض عليه وإفنائه (المترجم).

(**) الثورة الثقافية: اسم أطلق على حركة اجتماعية قامت في الصين عام 1966م، استهدفت إحداث تطهير إيديولوجي واسع، وتعزيز الثقة بتعاليم ماو تسي تونق (Mao Tsi Tong) (المترجم).

نقاط التحول ومفتاح الأحداث:

السفن البرتغالية تحط رحالها في الصين (1514 م):

أدت السياسات والفتوحات وقطاع الطرق خلال منتصف الألفية الثانية، إلى جعل طريق الحرير بين أوروبا والصين أقل أهمية. وقد تعامل الصينيون مع هذه التجربة في البداية بتسيير سبع رحلات بهدف الاكتشاف والتوسع.

في عام 1403 م، قاد شنق هو (Cheng Ho) أول وأضخم أسطول تجاري وعسكري سيرته أسرة مينق (Ming)(*) ليبحر جنوبًا تجاه الهند وأفريقيا. وقد أظهرت بعض السجلات أنه تكون من مائتي سفينة، كان على متنها (27.000) رجل. وقد زاد طول بعض تلك السفن على أربعمائة قدم، في حين بلغت حمولة بعضها (1500) طن. وبمقارنته بأسطول كولومبوس (Columbus) نجد أن الأخير تكون من ثلاث سفن فقط، بلغ عدد أفراد طاقمها (87) شخصًا. ولم يتجاوز طول أضخم سفينة بينها المائة قدم، في حين لم تزد حمولتها على المائة طن فقط.

صحيح.. تعد هذه المغامرة الصينية غير المسبوقة[3] عملًا ضخمًا، غير أنه لم يعد بفائدة ملموسة. وكانت الرحلة السابعة بين عامي 1431 و1433م هي الرحلة الأخيرة ضمن ذلك الأسطول العملاق. إذ أغلقت الصين بعدها حدودها أمام التجارة العالمية. وقد رأى كثيرون أن ذلك كان يمثل بداية انحدار المملكة الوسطى الذي استمر أربعمائة عام.

وعليه، فقد اضطر تجار البندقية والتجار المسلمون الذين كانوا يسيطرون على التجارة في البحر الأبيض المتوسط، الإسبان والبرتغاليون والإنجليز لكي

(*) أسرة مينق (Ming): أسرة إمبراطورية، حكمت الصين من عام 1368 حتى عام 1644م. في عهدها ازدهرت الثقافة والفنون، ونشطت حركة العمران. أسسها الإمبراطور مينق تاي تسو (Ming Tai Tsu) الذي ولد عام 1328م وتوفي عام 1398م، فوحد الصين كلها تحت حكمه وأحدث إصلاحات عسكرية وإدارية ذات شأن (المترجم).

يدفعوا كثيرًا مقابل التوابل والحرير الذي يجلب من آسيا الشرقية. مما حدا بفاسكو دا جاما (Vasco Da Gama) ورفاقه البرتغاليون إلى أن يتجهوا جنوبًا وشرقًا ليبلغوا أخيرًا ساحل الصين عام 1514 م. لكن خوف الصينيين من كل ما هو غريب وأجنبي حملهم على إغلاق موانئهم أمام بعثات الاستكشاف البرتغالية. غير أن إلحاح البرتغاليين المستمر مكنهم في النهاية من الحصول على موطئ قدم لهم في ماكاو(*)، فلم يغادروها إلا بعد (464) سنة.

فانخفضت أسعار التوابل والحرير في لشبونة بنسبة (80%) أجل، (80%)! فاتجهت إليها الأمم الأوروبية الأخرى المشتغلة بالملاحة، حاملة معها تأثيرات التجارة والمسيحية. وغالبًا ما كانت تنصب المدافع في طرق التجارة الملاحية.

واليوم، لا تزال الصين في الألفية الثالثة ترفض ما يقدمه لها الغرب من هدايا وهبات.

حرب الأفيون الأولى ومعاهدة نانجينق (1839 – 1842م)

أدى إقبال الإنجليز على تذوق الشاي في مطلع عام 1800م، إلى عجز هائل في الميزان التجاري مع الصين. فاتجه الذهب والفضة بسرعة وبكميات هائلة ناحية الشرق. وبالطبع، شملت التجارة بضائع أخرى أيضًا. فاشتملت الصادرات الصينية على: السكر، الحرير، عرق اللؤلؤ، الورق، الكافور، القرفة، النحاس، الشب، طلاء اللك، الروند(**)، مختلف أنواع الزيوت، الخيزران والخزف الصيني.

(*) ماكاو: مستعمرة برتغالية تتألف من شبه جزيرة ماكاو وجزيرتين صغيرتين متجاورتين، هما جزيرة تايبا وجزيرة كولوان. لغتها الرسمية: البرتغالية. ديانتها الرسمية: الكاثوليكية. مساحتها: 15.5 كيلو متر مربع. عدد سكانها: 460.000 نسمة. وعاصمتها: ماكاو (المترجم).

(**) الروند: نبات عشبي من الفصيلة البطاطية، ذو منافع طبية (المترجم).

وبالمقابل يعود التجار الأجانب محملين بالقطن، المنسوجات الصوفية، الحديد، الصفيح، الرصاص، العقيق، المجوهرات، الفلفل، جوزة الفوفل (*)، اللؤلؤ، الساعات، المرجان، الكهرمان (**)، الخرز، أعشاش الطيور، زعانف أسماك القرش، المواد الغذائية كالأسماك والأرز.

لقد لاحت الفرصة الذهبية للشركة الإنجليزية المعروفة بـ (شركة الهند الشرقية): أجل.. الأفيون. فهو سهل النقل بكميات كبيرة لأنه خفيف الوزن، كما يدمنه المستهلكون فلا يستطيعون عنه فكاكًا؛ يا له من منتج عظيم! يومئذٍ كان أفضل أنواع الأفيون يأتي من الهند البريطانية. وعندما ازداد تدفقه اختفى الكساد التجاري الذي حدث بسبب الشاي بسرعة البرق. فاعترض الإمبراطور وأصدر عدة مراسيم، لكن مع ذلك، نشطت تجارة الأفيون وازدهرت. فلا تزال بناية جاردن – ماثيزون للتجارة [4] التي تعد واحدة من أعلى ناطحات السحاب في هونغ كونغ، تحمل عبق ذكريات تلك السفن التي نشطت في تجارة الأفيون، من خلال نوافذها الدائرية، فجنت منها أموالًا طائلة استثمرتها في بنائها.

بحلول عام 1836م، طالبت مجموعة من موظفي الدولة الذين يشغلون وظائف رفيعة، بضرورة سن قوانين وتشريعات خاصة تنظم تجارة الأفيون. فسارع الممولون الأجانب لإغراق الأسواق استباقًا لتلك القوانين، لكن قرار الإمبراطور كان في الاتجاه المعاكس تمامًا، إذ أمر بتدمير هذا الاكتشاف الجديد (الأفيون) تدميرًا شاملًا في قوانقزو. وما إن حل عام 1839م حتى تلاشت تجارة الأفيون نهائيًّا. وكردة فعل على ما حدث، سارع الإنجليز لإغراق السفن الشراعية التجارية الصينية في نهر بيرل وحاصروا كل موانئ الصين.

(*) الفوفل: شجر من النخليات يحمل جذرًا يمضغ مع أوراق التنبول في بعض أصقاع جنوب شرق آسيا (المترجم).

(**) الكهرمان: راتينج أحفوري أصفر، نصف شفاف، تصنع منه السبحات وبعض الحلي وأدوات الزينة (المترجم).

وصـوب البريطانيـون مدافعهم تجـاه نانجينق دعمًا للمفاوضـات التي أجريت هنـاك عام 1842 م. فتخلت الصين بموجبها عـن هونغ كونغ للإنجليز، ودفعت لهم بجانب ذلك (21) مليون جنيه إسترليني. وفتحت موانئ سيامين، فوزننقبو وشانغهـاي أمام الأجانب للتجارة والاستيطان. وهكـذا صارت هونغ كونغ بوابة الصين الخائفة المتوجسة من كل ما هو أجنبي، خاصة للخمسين عامًا الأخيرة. وربمـا أدركـت الصين لأول مرة مدى مـا خسرته من قـوة؛ إذ انهارت مملكتها فتبددت بذلك أحلامها.

أخـيرًا، خرجت حرب الأفيون عن قدرة سطوة التجار الأجانب على تجارة الصـين، كمـا فشلت معاهـدة نانجينق في وضـع حد للمشكلـة. واندلعت حرب أفيـون أخرى بـين عامـي 1857 و 1860 م. فاتحدت كل من القـوات البريطانية والفرنسيـة في ذلـك الوضع المعقـد لتدمير قصـر المصيف في بيجينـق. فأتاح هـذا الإذلال الجديد مزيدًا من الحريـات للتجار الأجانب. ومرة أخرى، عقدت اتفاقيـة تضمنـت شرطًـا جزائيًا أتاح حرية عمـل التبشير المسيحـي في أرجاء مملكة الصين الوسطى كافة.

تمرد تايبيه (1851 - 1864 م):

كان فقـدان الثقـة في حكومة الصين أحـد أبرز نتائج ذلـك الإذلال الذي قطـف ثماره الأجانـب. فبلغـت الفوضى ذروتهـا في محافظـة قوانقسي عند أقصى جنوبي الإمبراطورية.

كان رئيـس تلك الثورة مزارع ولد قـرب قوانقزو حيث نشأ وترعرع، يدعى هونق شيكوان (Hong Xiuquan). كان يتمنى أن يحظى بوظيفة في الدولة، لكنه فشل في اجتياز الامتحان الذي يبنى عادة على تعاليم كونفوشيوس. وعندما عاد إلى قوانقـزو لإعادة المحاولة مـرة أخرى في اجتياز الامتحـان، التقى مبشرين بروتستانت غربيين، فبدأ يرى تجليات ذاتية.

وبعد فشله في اجتياز الامتحان للمرة الرابعة عام 1843م، بدأ يبشر بالمسيحية، مقدمًا نفسه كأخ للمسيح. فنجحت مساعيه خلال السنوات السبع التالية في تنصير عشرة آلاف شخص وإقناعهم باعتناق المسيحية. وبحلول عام 1851م، نصبه أتباعه (ملكًا سماويًّا مقدسًا) لـ (مملكة السلام السماوية). لكن على الرغم مما أطلقوه من لقب على ملكهم، وما اتخذوه من نعت لمملكتهم، نجحوا في الثورة وتمكنوا من قطع ذيل الخنزير في تحدٍّ سافرٍ لأسرة مانشوي الحاكمة، ثم اتجهت ثورتهم تزحف نحو الشمال، وبسبب ما تميزوا به من حماسة وتعصب ديني، قاتلوا بجرأة وشجاعة منقطعة النظير، فاجتاحوا العاصمة نانجينق، وواصلوا زحفهم حتى بلغوا مشارف تاينجين عام 1855 م.

ثم بدأت الأشياء بعد ذلك تتغير. فنظمت قوات صينية معارضة. وبسبب غضب الأجانب على ما ساقه هونق (Hong) من تفسير للكتاب المقدس، وما اتخذه لنفسه من خليلات بلغ عددهن (88) خليلة، وما شنه على شانغهاي من هجمات، شكلوا جيشًا آخر ضده. فانتحر قبيل الهزيمة الأخيرة واحتلال نانجينق.

لقد قدر عدد من لقوا حتفهم بسبب تمرد تايبيه بين عشرين إلى أربعين مليون ضحية! أجل، نكرر مرة أخرى: بين عشرين إلى أربعين مليون شخص صيني قد قتل. وبالمقابل، قتل مليون شخص فقط في الثورة الشيوعية. وعليه، يعد تمرد تايبيه أسوأ حرب أهلية وأكثرها دموية في تاريخ الإنسانية في العالم أجمع. ودون أدنى شك، قد جن جنون هونق شيكوان (Hong Xiuquan). وبجانب هذا، اندلعت ثورات أخرى في الصين في الوقت نفسه. كانت ثورة المسلمين في الشمال الغربي من البلاد (1862 – 1878 م) أوضح تلك الثورات.

على كل حال، بناء على تلك الأحداث في مطلع تسعينيات القرن الماضي، من السهل جدًّا أن ندرك سبب خشية القادة الصينيين وتوجسهم من الحركات الثورية التي تندلع على أسس عقدية حتى اليوم.

الحرب الصينية - اليابانية ومعاهدة شيمونوسيكي (1894- 1895م):

في عام 1281 م، حطم الإعصار الياباني أو ما كان يعرف بـ (الكاميكاز)(*) الأسطول الصيني - المغولي الذي كان في طريقه لاجتياح اليابان. كما دمر الأسطول الصيني أيضًا عام 1894 م، لكن لم يحدث الدمار هذه المرة بفعل إعصار هب من السماء، بل بالمدافع اليابانية. كانت المعركة التي نشبت بين البلدين بسبب كوريا التي كان الصينيون ينظرون إليها كملك حر لهم.

مرة أخرى تتعرض الصين للذل والخزي من الأجانب، لكن هذه المرة من جار بينها وبينه كره شديد، كانت تنظر إليه كشعب من القراصنة الخاضعين لها. فكان وقع معاهدة شيمونوسيكي كالصاعقة على الصين، إذ ضمنت استقلال كوريا، التنازل عن تايوان، جزيرة بيسكادورس، شبه جزيرة لياودونق (التي تقع غرب كوريا مباشرة) بالإضافة لملايين الدولارات كتعويض.

خلال أسبوع واحد فقط أجبرت كل من ألمانيا، فرنسا وروسيا، اليابان على التخلي عن شبه الجزيرة لصالح الصين، مقابل أن تضخ الأخيرة مزيدًا من الأموال. فأتاحت تلك الدبلوماسية للروس الدخول إلى منشوريا من خلال تحالف سري مع الصين. فيما رأت الدول الغربية الأخرى (ماعدا الولايات الأمريكية المتحدة) أن ضعف الصين في تلك الظروف يتيح فرصة مواتية لتمزيقها وتقطيع أوصالها. غير أن ما نشب بينها من شجار وتنافس على الغنيمة، حال دون عمل شيء يذكر. وبالطبع، حكمت اليابان تايوان للخمسين عامًا التالية حتى إلحاق الهزيمة بالأولى خلال الحرب العالمية الثانية.

(*) الكاميكاز: الطيار الانتحاري، أحد أفراد فرقة طيران يابانية، مهمتها القيام بهجوم انتحاي على هدف عسكري. كما تعني أيضًا: الطائرة الانتحارية، وهي طائرة تحتوي على متفجرات مهمتها الانقضاض على هدف عسكري انقضاضًا انتحاريًا (المترجم).

نشأة جمهورية الصين الشعبية (1949 م):

بالعـودة إلى مهمة زو إنلي (Zhou Enlai) العاجلـة إلى شيان التي أنقذت حيـاة شيانق كي - شيك (Chiang Kai - shek) عام 1936م، وأكدت أن الصين المتحدة تستطيع الوقـوف ضد انقضاض اليابان عليها؛ نجد أن الجيش الأحمر اندفـع يقاتل اليابانيين بضـراوة في الشمال، وتمكن بفضل مـا حصل عليه من دعـم سوفيتي بعيد نهاية الحـرب، من السيطرة على معظـم الحدود التي كان اليابانيـون يطالبون بهـا سابقًا مدعين ملكيتها. وعندمـا فشلت جهود الجنرال جورج مارشـال (Jeorge Marshall) في تحقيق السلام، اندلعت الحرب الأهلية من جديد عام 1946م.

حتـى عندما دعمـت الولايات الأمريكيـة المتحدة الصـين، لم يكن شيانق (Chiang) مستعـدًّا بعـد للانقضاض على اليابـان إثر تدمـير الأمريكيين لها بالقنابـل النووية. لكن على كل حال، حقق الجيش الوطني نصرًا مؤزرًا في وقت مبكر، غير أنه مني بهزيمة ساحقة في منشوريا عام 1948م.

علـى صعيـد آخـر، لم يكسـب شيانـق (Chiang) أتباعًـا كثيريـن بسبب شخصيتـه الاستبداديـة واعتماده سياسـة القمع. وفي المقابـل، جذبت القوات الشيوعيـة أعدادًا هائلة من المناصرين إلى صفوفهـا، فبدأت تحكم سيطرتها. وفي يناير من عام 1949 م، سقطت بيجينق وتيانجين في قبضتها. وفي أبريل من العام نفسه، عبرت القوات الشيوعية نهر يانقتيز، فهربت قوات الحزب الوطني إلى تايوان. وهكذا وضعت الحرب أوزارها.

تجدر الإشارة إلى أن جمهورية الصين الشعبية قد تأسست سابقًا بموجب مرسوم ماو زيدونق (Mao Zedong) الذي أعلنه في ساحة تيانانمين في بيجينق في غرة أكتوبر عام 1949م. أما التيبت، فقد أعيد احتلالها عام 1951م. ورحب السـواد الأعظم مـن الصينيين بـ (التحريـر) وما صاحبه مـن تشكيل حكومة

مركزيـة قويـة وإصـلاح للأراضي. فقـد سئموا الفوضـى وضاقوا بهـا ذرعًا. واستمرت سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج ومدخلاته في الريف حتى انتفاضة آخر مزارع في عام 1957م.

في الوقـت نفسـه، بدأت حركة مـاو (Mao) التطهيرية علـى نطاق واسع. وفي مطلـع ستينيات القرن الماضي، عقد صفقـة سياسية سرية مع منتقديه من السوفييت، في حين شرع في تطهير أعضاء قيادته من مناوئيه.

مـن جهة أخرى، يذكر أن القفـزة العملاقة التي حققتها الصين في أواخر خمسينيات القرن الماضي، والثورة الثقافية التي شهدتها في مطلع ستينياته، قد كانتـا بمنزلة كارثتين (اقتصادية واجتماعيـة) على جمهورية الصين الشعبية. كما استمرت الأزمة الاقتصادية حتى سبعينيات القرن نفسه.

الثورة الثقافية (1966 - 1976م):

بـدأ العد التنازلي للصين خلال الخمسين عامًـا الماضية عام 1966 م. إذ تعـب الرئيـس ماو (Mao) مرة أخـرى من انتقاد كبار رجـال الدولة لسياسته، ففقـد إثر ذلك قبضته المحكمة على الحـزب. ولكي يستعيد سيطرته على زمام الأمور، شكل ما عرف بـ (الحرس الأحمر) وهو مجموعة من المقاتلين والمهاجمين وطلاب المدارس العسكرية العليا في جميع أنحاء البلاد. وأوكل إليه مهاجمة كل ما هو تقليدي. فأدت سخرية الطبقة المثقفة من تلك الممارسات القمعية لانهيار نظام التعليم. كمـا حطمت المواقع والآثار التاريخية. كما نُفِيَ الرأسماليون مثل دينـق شياوبينق (Deng Xiaoping) إلى الريف وهُـددوا بالإعدام. فكادت تلك الفوضى تؤدي إلى نشوب حرب أهلية.

أخيرًا، أمر ماو (Mao) بحل (الحرس الأحمر) في شهر أغسطس من عام 1968 م، مفسحًا المجال للجيش للسيطرة على الأوضاع.

لكن الأسف الشديد، لقد حدث ذلك بعد فوات الأوان، فثمة دمار كبير حل بالبلاد. إذ قضى بعض ألمع جيلها وأكثره ذكاء سنوات عمره في الزراعة بدلًا من الذهاب إلى المدارس. فبسبب حرمانهم من التعليم الأساسي، اضطر كثير من أولئك الأشخاص الذين حرمتهم الثورة الثقافية من تقلد وظائف مرموقة، للعمل في أعمال وضيعة لكسب قوتهم، على الرغم من أن أعمارهم تتراوح بين العقدين الخامس والسادس. ولشدة ما تجرعه الصينيون من مرارة وما لحق بهم من ظلم واضطهاد، فقد وصفوا الفترة بين عام 1966م ووفاة ماو (Mao) عام 1976م بـ (السنوات العشر الضائعة) من عمرهم.

من يمن الطالع، أن استطاع دينق شياوبينق (Deng Xiaoping) مقاومة الظروف والبقاء على قيد الحياة في الريف، فظهر بعد بضع سنوات قائدًا فعليًّا للشعب. فتبرأ من الثورة الثقافية وشرع ينفذ رؤيته الإصلاحية (اقتصاد السوق الاشتراكي)، وما زال انفتاح الصين تجاه التجارة العالمية الذي بدأه دينق (Deng) عام 1978 م، مستمرًّا حتى اليوم.

الأفكار الأساسية للمملكة الوسطى:

اللغة:

لا شك في أن الارتباط بين الحدود الوطنية والعامل اللغوي وثيق الصلة وأكثر تأثيرًا من السياسة. وخير شاهد على ذلك ما نراه اليوم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أو تمزق يوغسلافيا. وصحيح.. قد تؤثر بعض المظاهر الثقافية الأخرى، كالدين والطبخ وغيرهما، لكن تبقى اللغة دائمًا هي العامل الأهم الذي يحدد هوية الشعوب.

وعليه، ترسخ لدينا انطباع سياسي خاطئ عن (الصين العظيمة) التي يقطن مواطنوها جمهورية الصين الشعبية (التي تشمل هونغ كونغ) وتايوان

وبالطبع، بقية أنحاء العالم، فهي ليست شيوعية أو كاثوليكية، جمهورية أو ديمقراطية، إذ يتعلم أبناء الصينيين المهاجرين وبناتهم في كل من فانكوفر، لوس أنجلوس، كوالالمبور، مانيلا وسيدني كيفية التفكير في أنفسهم كصينيين عندما يجلسون في مقاعدهم الدراسية صباح كل سبت لتعلم اللغة، وكذا الحال عندما يسمعون تراثهم الشعبي ولغتهم الأم في منازلهم. وبكل تأكيد، الأطفال ليسوا مجرد أشخاص يجلسون إلى مقاعد الدراسة لتلقي العلم فحسب، بل إنهم يوفرون مادة خصبة للدراسة أيضًا. إذ يعزز تعلم اللغة، أي لغة، طرق التفكير بشكل عميق للغاية. فغالبًا ما يشتكي الجيل الأول ممن هاجروا إلى أمريكا، انتهاك الأمريكيين لبعض القيم والمبادئ كالعمل الشاق في الجيل الثاني. غير أن اكتساب اللغة ساعد على المحافظة على سلامة تلك القيم والمبادئ، حتى إن كان ذلك تحت السطح، غير ظاهر للعيان. وبالمقابل، ساعدت دروس اللغة العبرية على المحافظة على سلامة الثقافة اليهودية بالطريقة نفسها حول العالم وعبر القرون.

تعلم اللغة الصينية المكتوبة، مسألة تنمية للذاكرة أكثر منها مسألة تعلم حروف هجائية لربط الحروف مع بعضها بعضًا، ومن ثم تكوين أصوات وكلمات. فعلى الطالب الذي يتعلم اللغة الصينية أن يكون قادرًا على حفظ نحو خمسة آلاف رمز أو حرف أبجدي واستذكارها عند الحاجة. يشتمل معظمها على معلومات مصورة وإشارات عند النطق. لكن معظم تلك المعلومات قد اختفت عبر القرون، فكان لا بد من الاعتماد على الذاكرة. فكان هذا الجهد الشاق عاملًا مهمًا لتوحيد الناطقين باللغة الصينية بطريقة ثقافية خاصة. كما أنها حدت من القدرة على الإبداع. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه تم تبني هجائية مبسطة في الموطن الأصلي، في حين ظلت هونغ كونغ، تايوان، وإلى حد ما اليابان، تستخدم الألفباء الصينية التقليدية.

من جهـة أخرى، ما زال الناس في الصين اليـوم يتحدثون مئات اللهجات المحلية واللغات، في حين يتواصل السواد الأعظم من الشعب بالكتابة، مستخدمين الحـروف الهجائيـة الصينية. لكن علـى الرغم من اشتراك جميـع السكان في أسلوب واحـد للكتابة، إلا أن سكان المحافظـات الشمالية لايستطيعون التحدث إلى سكان المحافظات الجنوبية.

في الشمـال تشيـع لهجة المندرين، أمـا في دلتا نهر يانقتيـز، فتشيع لهجة شانغهـاي، فيما يتحـدث أهل الجنـوب اللهجة الكانتونية. وقـد كان في الصين ثماني لهجات أساسية، لكن الحكومة دأبت منذ عام 1949م على تشجيع الجميع لتعلم المندرين والتواصل بها. وعليه، بإمكانك اليوم قراءة الصحف المسائية في هونـغ كونغ باللهجـة الكانتونية أو بلهجة المندرين. كما تعـد الأخيرة أيضًا اللغة الرئيسة في تايوان.

الأفكار تتدفق من الجنوب:

يقـول المثل المفضل لأهل الجنـوب في الصين: (إنهم يصوغون القوانين في بيجينق، فنترجمها في قوانقزو). ويعكس هذا المثل الحقيقة التاريخية التي تفيد بتدفق الأفكار الجديدة من الجنوب للشمال في الصين. ويعزى أحد أسباب هذا لعـزم الغزاة الشماليين على استصحاب العنـف معهم إلى جانب قليل جدًّا من الابتـكار والتجديـد. كما أنه ثمة وثائـق دامغة تثبت حقيقـة محاولة الصينيين إضفاء الجنسية الصينية على أهل منغوليا ومنشوريا. وبالمقابل، كانت قوانقزو (كانتـون القديمـة) ودلتا نهر بـيرل، أول المناطق الصينية التـي وطئتها أقدام الأوروبيين، حاملين إليها التقنية الحديثة والدين.

لقـد تدفقت الأفكار تجـاه الشمال حتى قبل وصـول الأوروبيين. ففي حين استخدمـت المواصلات البحرية في الجنوب الذي يعـج بالبحار، انتقلت التقنية إلى الشمـال لتحفر قنوات رئيسة. وغالبًا ما يكون استخدام الأسقف القرميدية

نصف الأسطوانية التي تستعمل على نطاق واسع في الشمال، قد استوحي من المباني الخيزرانية التي كانت تبنى في الجنوب، فيحتمي الناس بها من الشمس والمطر وغيرهما من العوامل الجوية. كما شهد الجنوب زراعة الأرز والشاي قبل الشمال، فانتقلت إليه من هناك.

بسبب التأثيرات الأوروبية التي ذكرت آنفًا، فلا عجب أن تكون ثورة تايبيه(*) الهادرة قد اندلعت أول ما اندلعت في الجنوب.

على صعيد آخر، يذكر أن صن يات – سين (Sun Yat-sen) قد تأثر بالتفكير الغربي لأول مرة في حياته في أثناء دراسته في المدرسة الطبية في هونغ كونغ التي سيطر عليها البريطانيون. وحتى اليوم، لا تزال الصناعة والأعمال التجارية وما يرتبط بهما من ثروة، تنتشر من المقاولين الذين يعملون في الجنوب إلى الشركات والمصانع التي تمتلكها الدولة في الشمال. ولأسباب منطقية جدًّا. إذن شهدت قوانقزو افتتاح أول سوق حر للفلاحين في الصين عقب وفاة الرئيس ماو (Mao).

طريق الحرير:

كان طريق الحرير بمنزلة حلقة وصل مهمة للربط بين القوتين العالميتين في عهد المسيح. وطالما تبادل (ملوك الشرق الثلاثة) الهدايا عبر طريق أقل ما يقال عنه إنه كان منقطعًا تمامًا، يمتد لأربعة آلاف ميل بين شيان وروما. كان يمر عبر أفغانستان الحالية، ويحمل البضائع إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط في سورية. وفي حقيقة الأمر، لا يعرف أن أحدًا قد قطع كل تلك المسافة في أثناء ترحاله.

بناء على السياسة وما شابهها، فقد كانت البضائع تباع وتشترى عبر سلسلة من الوسطاء. ففي حين كان الحرير ينقل إلى الغرب، كان الذهب

(*) تايبيه: عاصمة جمهورية الصين الوطنية (تايوان)، تقع في الطرف الشمالي من جزيرة تايوان. سكانها 3.000.000 نسمة (المترجم).

والفضة والأصواف بجميع أشكالها، تنقل عبر ذلك الطريق. ولم تكن تلك الرحلات محصورة على البضائع فحسب، بل كانت الأفكار أيضًا تنتقل من هنا إلى هناك والعكس. إذ انتقلت البوذية والمسيحية إلى الشرق. وهكذا فعل ماركو بولو (Marco Polo) بين عامي 1271 و1297م. في حين اتجهت التقنية شرقًا واشتملت على صناعة الورق، الركاب(*)، النشابية(**)، العجلة التي تدفع باليد، المغناطيس، البارود وغيرها من الاكتشافات الحديثة آنئذٍ.

الاندماج والتفسخ:

إن مجرد قراءة متأنية في تاريخ الصين خلال الألف عام المنصرمة، تظهر بوضوح جلي ذلك التعاقب الدوري المنتظم: في حين يعمل قادة أقوياء على توحيد البلاد، تضمحل الأسر الحاكمة لتتلاشى نهائيًّا، وهكذا. وصحيح.. قد لا تختلف الصين كثيرًا عن بقية أنحاء العالم في هذا الشأن، لكن الأمر ما زال تاريخًا غير مألوف لمعظم الأمريكيين.

بعد سقوط أسرة هان (Han) عام 220 ق. م، استغرق الأمر أكثر من قرنين لكي تتوحد البلاد مرة أخرى. على صعيد آخر، أدى انهيار أسرة تانق (Tang) عام 906م، لسبعين عامًا من الفوضى والاضطرابات. أما أسرتا جين (Jin) وصونق (Song) فقد تسببتا عام 1126م، في انشطار الإمبراطورية. أما جنكيز خان (Genghis Khan) فقد عمل على تقسيم الإمبراطورية. فجاء حفيده كوبلي (Kublai) ليوحدها من جديد تحت حكم المغول عام 1297م.

من جهة أخرى، سيطر الإنجليز على هونغ كونغ عام 1842م. وفي الفترة بين عامي 1851 و1864م، اندلعت ثورة تايبيه فحصدت أرواح عشرات الملايين

(*) الركاب: حلقة تعلق في السرج، يضع الراكب فيها قدمه، تسهيلاً لامتطائه الدابة (المترجم).

(**) النشابية: آلة حربية قديمة لإطلاق الحجارة والسهام والقذائف، شبيهة بالقوس والنشاب (المترجم).

مـن الصينيـين. وبحلول عام 1895م، احتـل اليابانيون تايوان. ومـا إن أشرقت شمـس عام 1898م حتى احتل الروس منشوريا. ثم اندلعت ثورة الملاكمين(*) في الفـترة بين عامى 1898 و 1900م، فقسمت البلاد. ثـم جاء عام 1905م، ليحتل اليابانيون منشوريا. وفي عام 1911م، جاء القوميون فقسموا البلاد، وقد اندلعت الحـرب للسيطرة على الإمبراطور الأخير، اليابانيين والشيوعيين. ثم استعادت جمهوريـة الصين الشعبية التيبت (عـام 1951 م) ثم هونغ كونغ (عام 1997م) ثم ماكاو (عام 1999م) وتجري الآن مفاوضات بشأن تايوان.

تجدر الإشـارة هنا إلى أن بعض كتاب الغرب قد ألفوا كتبًا حاولوا التأكيد مـن خلالها علـى أن الصين سوف تسير علـى نهج الاتحـاد السوفيتي. غير أن مرونـة الصـين ومسايرتها للتغـيرات العالمية لكـي تحافظ علـى كيانها كدولة موحـدة، تظل أبلغ درس في التاريخ، وربمـا كان الرهان الحقيقي الآن هو إعادة توحيد تايوان مع الأرض الأم (الصين) سلميًّا(**).

الاجتياحات:

نستطيـع أن نحصـي بين غـزو المسلمين لـ (قوانقزو) عـام 658 م وهجوم اليابانيين في الفترة بين عامي 1931 و1937م، اثني عشر هجومًا عسكريًّا أجنبيًّا على الصين:

- التيبتيون: 763م.
- الجورشيديون: 1126م.

(*) جمعيـة سريـة حاولـت عام 1900م طـرد الأجانب مـن الصين، وحمـل المنتصريـن الصينيين على الارتداد، وعرف الملاكمون بهذا الاسم لأنهم كانوا يمارسون الملاكمة وبعض الألعاب الجمبازية، اعتقادًا منهم أنها تكسبهم قوة خارقة، فلايؤثر فيهم حتى الرصاص (المترجم).

(**) كثيـرًا مـا تـرد عبارة الأرض الأم أو الصـين الأم في هذا الكتاب، ويقصد بهـا البر الصيني، أي جمهورية الصين الشعبية، بوصفها البلاد الأساسية التي ضمت إليها بعض البلدان (المترجم).

- المنغوليون: 1234 و1449م.
- البرتغاليون: 1535م.
- اليابانيون: 1592 و 1894م.
- المنشوريون: 1629م.
- الإنجليز: 1839 و 1860م.
- الفرنسيون: 1860م.
- الألمان: 1897م.

يلاحظ أن الولايات الأمريكية المتحدة ليست ضمن القائمة. أما اليوم فيستحيل أن تكون هناك قوة قادرة على غزو الصين أو حتى مجرد التفكير في هذا الأمر. خاصة إذا أدركنا أن الصين قد صنعت أول قنبلة نووية منذ عام 1964 م، كما أنها تمتلك تقنية صواريخ متقدمة جدًّا، بالإضافة إلى أن جيشها النظامي يتكون من مليوني عنصر مدربين على أعلى المستويات. وعليه، يكون التفكير في الحرب ضد الصين كدولة لدولة نوعًا من العبث.

مرة أخرى، ومن خلال استقراء التاريخ، ندرك سبب خوف الصينيين من كل ما هو أجنبي وغريب عنهم. لكن على كل حال، من خلال عضويتها في كل من الأمم المتحدة ومنظمة التجارة العالمية، نستطيع أن نرى الصين الآن وهي تتغلب على تلك التجارب السيئة التي عاشتها خلال القرنين الماضيين، ربما بدأ يتسرب إليها نوع غير عادي من الأمان والاطمئنان. فإن كان الحال كذلك، فليس ثمة شك في أن تلك أخبار سعيدة للجميع.

الثقل السكاني:

تدعونا حالة الرهاب تلك، أو الخوف من الأجانب هنا في الولايات الأمريكية المتحدة، للاعتقاد بإمكانية عودة الصين لمغامرتها العالمية في يوم ما، التي كانت تسودها أيام حكم أسرة مينق (Ming). ولنستحضر تلك الأساطيل

الصينيـة الضخمـة التي كانت تجـوب منطقة المحيط الهنـدي بين عامي 1403 و1433م. وفي عـام 1407م، اجتـاح الصينيون فيتنـام، فاحتفظوا بها لمدة واحد وعشرين سنة تحت سيطرتهم.

تعكس خلافات الصين الحالية مع الفيتناميين والفلبينيين حول بعض الجزر الواقعة في بحر الصين الجنوبي (Spratley Islands) نزعتها التوسعية الكامنة.

علـى كل حال، لقد أغفلت تلك النظرة الساذجـة، المعضلة الأساسية التي تواجـه حكومـة الصـين، تلك المعضلـة التي طالمـا عانتها في السابـق، ولا تزال تعيشهـا حتى اليوم، وستظل تلازمها دائمًا كظلها تمامًا: المحافظة على السلام والنظـام بين هذا الكم الهائل من سكانهـا. ويلاحظ هنا أن الصين قد نجحت في القضاء على مشكلة المجاعة من خلال الثورة الخضراء.

أما مشكلة الزيادة المضطردة في عدد السكان، فقد تم علاجها، على الأقل مؤقتًـا، عـن طريق تطبيـق سياسة طفل واحـد فقط لكل أسـرة في سائر أنحاء جمهورية الصين الشعبية.

أمـا المعضلة الحالية التي تـؤرق السلطات الصينية، فتتمثل في أن (70%) مـن إجمالي عدد السكان الذي يقدر بـ (1.3) بليون، يقطنون في مناطق ريفية، حيـث يتمركـز معظمهم في وسط البـلاد. على الرغم مـن أن أهم هجرتين في العـالم اليوم تتجهان نحو المدن والمناطق الساحلية. الأمر الذي يفرض تحديات علـى السلطـات الصينية، ليس للمحافظـة على ثبات وتيرة النمـو الاقتصادي المضطـردة لتوفير فرص العمل في القطـاع الخاص للملايين الذين تركوا العمل في القطـاع الحكومـي لأنـه لا يرضي طموحهـم فحسب، بل أيضًـا لمواجهة هذا النوع غـير المسبوق من الهجرة التي تتجه من وسط البلاد إلى المدن الساحلية. ولا شـك أن هـذا يجعل الصين في حاجة ماسة لكل مـا يمكن أن تحصل عليه أو يتوافر لديها من دعم ومساعدة.

الخط الزمني لتاريخ الصين

ق. م	
نحو 1.5 – 0.5 مليون	أول اكتشاف لوجود الجنس البشري في الصين، قرب بيجينق، لانتيان، يوانمو وغيرها من مواقع أخرى.
نحو 80000	ظهور الإنسان العصري الذي يتميز بالعقل والحكمة في الصين.
نحو 7000	بداية عصر الزراعة والعصر الحجري الحديث(*).
نحو 2550	عهد الإمبراطور الأصغر (أسطورة).
نحو 2300	عهد الإمبراطور ياو (Yao) (أسطورة)
نحو 2200	عهد شن (Shun) (أسطورة).
نحو 2140	ياو (Yao) الأكبر يسيطر على الفيضان العظيم (أسطورة).
نحو 2100	بداية عهد أسرة شيا (Xia) (ليس من الثابت إن كان هذا حقيقة تاريخية أم أنه أسطورة كغيره).
نحو 2100	بداية العصر البرونزي الصيني(**).
نحو 1600	خلع تانق (Tang) الجهبذ، آخر ملوك أسرة شيا (Xia) ليؤسس أسرة شانق (Shang).
نحو 1300	أول ظهور لنقوش أسرة شانق (Shang) على العظام.
نحو 1100	عهد الملك وين (Wen)، ملك زو (Zhou).

(*) **العصر الحجري الحديث**: الفترة الأخيرة من العصر الحجري، ويبدأ نحو عام 1000 ق. م في الشرق الأوسط، وبعد ذلك بفترة في أماكن أخرى. ويتميز بإختراع الزراعة وصنع بعض الآلات الحجرية المتطورة (المترجم).

(**) **عصر البرونز**: فترة من تاريخ البشرية، تقع بين العصر الحجري وعصر الحديد، سمي هكذا لتميزه باستخدام البرونز في صنع الأدوات والأسلحة، ويعتقد أنه بدأ في أوروبا نحو عام 3500 ق. م. وفي آسيا الغربية ومصر قبيل ذلك التاريخ (المترجم).

نحو 1050	قوات الملك وو (Wu)، ملك زو (Zhou) تلحق الهزيمة بقوات آخر ملوك شانق (Shang) في معركة ميو، لتعلن بذلك نهاية أسرة شانق (Shang).
نحو 900	ظهور البدو على ظهور الخيل في السهول شمالي الصين.
841	أول تاريخ مؤكد في تاريخ الصين.
نحو 820	شيانيون (Xianyun) يهاجم زو صين (Zhou China) (ربما اندفع المهاجمون من جهة الشمال).
771	اغتيال الملك يو (You) ملك زو (Zhou) في هجوم شنه خدم المتمردين والهمج على العاصمة الملكية في السنة الأولى لحكم الملك بنق (Ping) ملك زو (Zhou) الذي توج في عاصمة زو (Zhou) الشرقية قرب ليوانق الحديثة، في بداية فصلي الربيع والخريف.
نحو 650	بدأ الصينيون استخراج الحديد من المناجم.
552 أو 551	ميلاد كونفوشيوس (Confucius).
479	وفاة كونفوشيوس (Confucius).
463	بداية الحرب بين دول الصين.
نحو 450	بناء سور الصين العظيم في حدود دولة كي (Qi).
256	دولة كين (Qin) تقضي نهائيًّا على مملكة زو(Zhou).
221	أكمل الملك زينق (Zheng) ملك كين (Qin) اجتياح كل دول الصين ليعلن نفسه أول إمبراطور لأسرة كين (Qin).
214	اكتمال بناء أول سور عظيم للصين.
210	وفاة أول أباطرة أسرة كين (Qin).
209	اندلاع الثورات ضد أسرة كين (Qin).
206	ظهور أسرة هان (Han) على مسرح الأحداث.
نحو 140	العقيدة الكونفوشيوسية تسيطر على فلسفة الدولة.
126-138	سفر زانق كيان (Zhang Qian) من الصين إلى باكتريا وسوقديانا.
نحو 90	سيما كيان (Sima Qian) تفرغ من تسجيل أول تاريخ مكتمل للصين.

ميلادي:	
23-9	عهد وانق مانق (Wang Mang) إمبراطور أسرة شيان (Xin) الوحيد، وإعلان كل الأراضي ملكًا للدولة.
نحو 65	وصول البوذيين إلى الصين.
105	كاي لون (Cai Lun) يلفت انتباه الإمبراطور للورق.
184	اندلاع تمرد أصحاب العمائم الصفراء.
220	أفول نجم أسرة هان (Han) إلى غير رجعة، وانقسام الصين إلى ثلاث دول.
نحو 250	بداية عهد الصينيين باحتساء الشاي.
نحو 399-414	رحلة فا شيان (Fa Xian) من الصين إلى الهند.
589	أسرة سيو (Sui) تعيد توحيد الصين من جديد.
605	اكتمال حفر أول قناة عظمى، تربط بين نهر يانقتيز والنهر الأصفر.
610	مد القناة العظمى جنوبًا حتى نهر كيانتانق.
نحو 629-645	رحلة شوان زوانق (Xuan Zhuang) من الصين إلى الهند.
641	زواج إحدى أميرات الصين بملك التيبت.
668	الصين تسيطر على كوريا.
690-701	عهد الإمبراطورة وو (Wu).
694	التخلي عن معاملة البوذية على أنها ديانة أجنبية دخيلة.
751	معركة نهر تالاز، وتحطيم المسلمين لقوة الصين في آسيا الوسطى.
755-777	تمرد آن لوشان (An Lushan).
758	حرق قوانقزو ونهبها على أيدي مسلمين من البلاد العربية والخليج الفارسي.
763	التيبتيون يغزون الصين ويبسطون سيطرتهم على شانقان لفترة محدودة.
843	الحكومة تبسط سيطرتها على أعداد كبيرة من الكنائس البوذية.
868	تاريخ طباعة أول كتاب في الصين لا يزال موجودًا يظهر عليه تاريخ طباعة.
875	اندلاع تمرد هوانق شاو (Huang Chao).

906	أفول نجم أسرة تانق (Tang) وتعرض الصين للانقسام مرة أخرى.
نحو 901	تداول النقود الورقية لأول مرة في الصين.
919	بداية استخدام البارود في الصين لأول مرة.
953-932	طباعة النص الكامل للكونفوشيوسية التقليدية.
975	إعادة توحيد الصين في عهد أول أباطرة سونق (Song).
1044	وصف البوصلة المغناطيسية في نص باللغة الصينية.
1069	إصلاح وانق آنشي (Wang Anshi).
1126	سقوط عاصمة أسرة سونق (Song) (كيفينق) في أيدي الغزاة المتطرفين الذين أسسوا أسرة جين (Jin) في شمال الصين.
1165-1161	قوات أسرة سونق (Song) المسلحة تصد هجمات أسرة جين (Jin).
1194	فيضان هائل أدى إلى تغيير في النهر الأصفر.
1234	المنغوليون يكملون غزوهم لشمال الصين ويحطمون أسرة جين (Jin).
1297-1271	ماركو بولو (Marco Polo) يصل الصين.
1279	خوبيلي خان (Khubilai Khan) يكمل اجتياح جنوب الصين.
نحو 1290	إعادة بناء القناة العظمى ومدها.
1294	جون (John) القادم من مونتيكورفينو يؤسس إرسالية مسيحية دائمة في بيجينق.
1368	ظهور أسرة مينق (Ming) في عاصمتها نانجينق.
1433-1403	تسيير رحلات السفن الشراعية الصينية الضخمة إلى كل من الهند وشرق أفريقيا.
نحو 1412	إعادة بناء سور الصين العظيم.
1421	أسرة مينق (Ming) تنقل مقرها الإداري إلى بيجينق، وربما تكون قد أرسلت أسطولًا لاكتشاف ساحل أمريكا.
1449	المنغوليون يجتاحون الصين ويقبضون على الملك السادس لأسرة مينق (Ming).
1514	سفن البرتغال تبلغ ساحل الصين.

1535	أول بداية لاستعمال البرتغاليين لـ (ماكاو).
1581	الإصلاح الضريبي؛ توحيد ضريبة الأرض وضريبة الماشية في نظام ضريبي واحد.
1592	اليابانيون يجتاحون كوريا.
1598	القوات الصينية تطرد اليابانيين من كوريا.
1601	تأسيس إرسالية ماتيوريسي اليسوعية في بيجينق.
1629	المنشوريون يستبيحون بيجينق.
1645-1629	تمرد لي زيشنق (Li Zicheng).
نحو 1640	الشاي يدخل أوروبا لأول مرة.
1644	لي زيشنق (Li Zicheng) يستولي على بيجينق، ويعزل أسرة مينق (Ming). وو سانقوي (Wu Sangui) يدعو المنشوريين عبر سور الصين العظيم لمساعدته على طرد لي زيشنق (Li Zicheng) من بيجينق. والمنشوريون يوطدون أقدامهم في الصين وينقلون عاصمتهم إلى بيجينق.
1683	المنشوريون يستولون على تايوان، فيكملون بذلك اجتياحهم للصين.
1689	معاهدة نيرشينسك تساهم في حل المشاكل الحدودية بين روسيا ومنشوريا.
1720	المنشوريون يدمجون التيبت في إمبراطورية كينق (Qing).
1729	مرسوم إمبراطوري يحظر بيع الأفيون واستعماله.
1791-1790	قوات كينق (Qing) تخضع نيبال.
1794-1793	اللورد ماكارتني (Macartney) يقود أول سفارة بريطانية إلى الصين.
1804-1793	اندلاع التمرد الذي عرف بـ (تمرد زهرة اللوتس البيضاء).
1816	اللورد آمهرست (Amherst) يقود السفارة البريطانية الثانية إلى الصين.
1834	إلغاء احتكار شركة الهند الشرقية التابعة للحكومة البريطانية لتجارة الصين.
1839-1836	الصين تحظر تجارة الأفيون في قوانقزو.
1842-1839	حرب الأفيون الأولى.
1842	معاهدة نانجينق: تنازلت الصين بموجبها عن هونغ كونغ لصالح بريطانيا، وأضحت شانغهاي ميناء مفتوحًا أمام التجارة الأجنبية.
1864-1851	تمرد التايبيين يحصد أرواحًا بين عشرين إلى أربعين مليون صيني.

1853	متمردو تايبيه يسيطرون على نانجينق.
1853-1868	تمرد نيان.
1842	شهد النهر الأصفر فيضانًا هائلًا أدى إلى تغيير مجراه، ففقد الجزء الشمالي من القناة العظمى مياهه لتسيل في كل اتجاه هدرًا دون الاستفادة منها.
1855-1873	تمرد المسلمين في يونان.
1857-1860	حرب السهم أو حرب الأفيون الثانية.
1860	القوات البريطانية والفرنسية تدخل بيجينق وتدمر قصر يووان مينق يووان الصيفي.
نحو 1862	الإمبراطورة دواقر شي شيا (Dowager Ci Xi) تحكم سيطرتها على القوات في بلاط كينق (Qing).
1862-1878	تمرد المسلمين في شمال شرقي الصين.
1863	روبرت هارت (Robert Hart) يتبوأ وظيفة المفتش العام للضرائب في الصين.
1879	اليابان تضم جزر ريوكيو إليها.
1894-1895	الحرب الصينية اليابانية.
1895	معاهدة شيمونوسيكي: تم التخلي عن تايوان لصالح اليابان. الألمان يسيطرون على خليج جياوزو وكينقداو، ويجبرون الصينيين على تأمين عقد للإيجار.
1898	حصلت روسيا على حق استئجار ميناء آرثر وميناء داليان.
1898	حصلت بريطانيا على حق استئجار وهيوي والحدود الجديدة لـ (هونغ كونغ).
1898	أيام الإصلاح المئة.
1898-1900	اضطرابات الملاكمين.
1900	حصار البعثات الأجنبية؛ احتلال القوات الغربية لـ (بيجينق).
1904-1905	الحرب الروسية اليابانية؛ اليابان تسيطر على المصالح الروسية في منشوريا.
1908	وفاة الإمبراطورة دواقر شي شيا (Dowager Ci Xi) وتنصيب الإمبراطور بيو يي (Pu Yi) كآخر الأباطرة.
1911	الثورة الوطنية تخلع أسرة كينق (Qing) عن العرش.
1912	تنصيب يووان شيكي (Yuan Shikai) كأول رئيس لجمهورية الصين.

1914	اندلاع الحرب العالمية الأولى؛ اليابان تهاجم المصالح الألمانية في الشرق الأقصى وتستولي على كينقداو.
1915	يووان شيكي (Yuan Shikai) يوافق على الواحد والعشرين مطلبًا التي تقدمت بها اليابان.
1916	يووان شيكي (Yuan Shikai) يتنازل عن طموحه لكي يصير إمبراطورًا، ليموت بعد ذلك بوقت وجيز.
1917	اعتقال آخر أباطرة أسرة كينق (Qing) لوقت قصير؛ ودخول الصين الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا.
1919	حركة الرابع من مايو: الطلاب الصينيون يتظاهرون ضد معاهدة فيرساي.
1921	أول اجتماع عام للحزب الشيوعي الصيني.
1922	اليابان تعيد كينقداو للسيطرة الأجنبية.
1925	وفاة صن يات – سين (Sun Yat -sen)؛ شيانق كي – شيك (Chiang Kai-shek) يصير رئيسًا للحزب الوطني الصيني.
1928-1926	البعثة الشمالية تنجح في بسط سيطرة الوطنيين على معظم أنحاء الصين.
1930	بريطانيا تعيد ويهيوي للسلطات الصينية.
1931	اليابان تبسط سيطرتها على معظم أجزاء منشوريا.
1933	عصبة الأمم المتحدة تدين عدوان اليابان على الصين: اليابان تطرد من الأمم المتحدة.
1934	بيو يي (Pu Yi) يصير إمبراطورًا لدولة منشوكيو(*) التي كانت ألعوبة في أيدي اليابانيين.
1935-1934	المسيرة الطويلة(**).

(*) منشوكيو : دولة سابقة أقامها اليابانيون في منشوريا (1932 – 1945م) ونصبوا عليها إمبراطورًا شكليًا هو (شوان تونق) آخر أباطرة الصين (المترجم).

(**) تراجع إستراتيجي اضطر الجيش الصيني الأحمر إلى القيام به (1934 – 1935م) بقيادة ماو تسي تونق، من مقاطعة كيانغسي في الجزء الجنوبي الشرقي من الصين إلى مقاطعة شنسي في الجزء الشرقي من وسطها، وذلك في وجه تهديد القوات الوطنية الصينية، بقيادة شيانق كاي – شيك بالانقضاض عليه وإفنائه.

1936	حادثة شيان (Xian)؛ الحزب الوطني الصيني والحزب الشيوعي الصيني يكونان جبهة متحدة ضد اليابان.
1937	اندلاع الحرب بين الصين واليابان.
1941	مجموعة من الطيارين الأمريكيين المتطوعين يشكلون ما عرف يومئذٍ بـ (النمور الطائرة) في سماء كونمنق.
1945	الاتحاد السوفيتي يهاجم اليابانيين في منشوريا؛ واليابان تستسلم.
1946	عودة الحرب الأهلية بين الوطنيين والشيوعيين.
1949	إعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية.
1950	أمريكا ترسل أسطولها السابع إلى مضايق تايوان للحيلولة دون اجتياح الشيوعيين للجزيرة؛ والصين ترسل حشودًا إلى كوريا.
1951	قوات التحرير الشعبية تسيطر على التيبيت.
1953	نهاية الحرب الكورية.
1957	حملة المائة زهرة.
1959-1957	الحملة ضد اليمينيين.
1958	القفزة العملاقة إلى الأمام.
1960	الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي.
1962	الصين تلحق الهزيمة بالهند في الحرب بسبب الحدود بشأن التيبيت.
1964	الصين تختبر قنبلتها النووية الأولى.
1966	اندلاع ثورة العمال الثقافية الكبرى.
1971	وفاة لين بياو (Lin Biao): الصين تحتل مقعد تايوان في الأمم المتحدة.
1972	الرئيس الأمريكي نيكسون (Nixon) يزور الصين.
1975	زو إنلي (Zhou Enlai) يعلن خطوات التحديث الأربع.
1976	وفاة زو إنلي (Zhou Enlai)؛ و ماو زيدونق (Mao Zedong).
1977	القبض على زعماء حرب العصابات الأربع.
1979	الولايات الأمريكية المتحدة تعترف رسميًّا بجمهورية الصين الشعبية.
1981	تأسيس أول مناطق اقتصادية خاصة في الصين.

1989	قمع حركة الديمقراطية في بيجينق.
1993	السماح بتعويم سعرصرف اليوان الصيني(*).
1995	وفاة شين يون (Chen Yun) آخر أبرز معارضي ماو (Mao).
1996	الرئيس الأمريكي كلنتون (Clinton) يوافق بعد انتخابه لولاية ثانية على تبادل الزيارات بين بلاده والصين في عهد الرئيس جيانق زيمن (Jiang Zemin).
1997	وفاة دينق شياوبنق (Deng Xiaoping) في 19 من فبراير وهو في الثانية والتسعين؛ بريطانيا تعيد هونغ كونغ لجمهورية الصين الشعبية؛ الرئيس الصيني جيانق زيمين (Jian Zemin) يقوم بزيارة رسمية للولايات الأمريكية المتحدة، أبدى خلالها موافقته الضمنية على الاعتراف بخطأ استعمال القوات المسلحة في قمع مظاهرات عام 1989م.
1998	إحالة لي بنق (Li Peng) إلى المعاش بعد نهاية ولايته في رئاسة الوزراء؛ ليحل محله زو رونجي (Zhu Rongji)؛ الرئيس الأمريكي كلنتون (Clinton) يزور الصين.
1999	نحو ٢٥٠٠ شخص يلقون حتفهم في تايوان بسبب زلزال؛ الرئيس الصيني جيانق زيمين (Jiang Zemin) يزور المملكة المتحدة وبعض بلدان غربية أخرى؛ البرتغال تعيد ماكاو للصين.
2000	انتخاب شين شوبيان (Chen Shuibian) كأول رئيس لتايوان من خارج قومندانق؛(43.6%) فقط من الناخبين يشاركون في انتخابات مجلس هونغ كونغ التشريعي، حصل فيها الحزب الديمقراطي على (34.7%) فقط من أصوات الناخبين؛ إعدام شينق كيجي (Cheng Kejie) نائب رئيس مجلس الشعب الوطني بسبب قضايا فساد؛ الولايات الأمريكية المتحدة توافق على إقامة علاقات تجارية طبيعية دائمة مع الصين، مفسحة لها الطريق بذلك لكي تصبح عضوًا كامل العضوية في منظمة التجارة العالمية.
2001	الصين تحصل على العضوية الكاملة بمنظمة التجارة العالمية.
2008	بيجينق تشهد إقامة الألعاب الأولمبية في دورتها التاسعة والعشرين.
2010	شانغهاي تشهد إقامة المعرض العالمي.

(*) **اليوان**: وحدة النقد في الصين (يساوي مئة فنّ – Fen) كما يمثل أيضًا وحدة النقد في تايوان حيث (يساوي مئة سنت – Cent) (المترجم).

الهوامش:

1 - يكتب في بعض الأحيان كونق - فو - تزو (Kung - fu - tzu).

2 - بالطبع، ربما احتج البعض، ومعه كل الحق، مطالبًا بضرورة اعتبار الرئيس ماو (Mao) شخصية أساسية لتلك الحقبة. وعلى الرغم من أننا قد شهدنا له بالفضل في إشعال جذوة الثورة الشيوعية في القسم الأخير من هذا الفصل من الكتاب، إلا أنه كما في حالة وانق آن - شي (Wang An- shih) خلال عهد أسرة سونق، (Song) قد يؤدي المستشارون أدوارًا حاسمة في السياسة. وعليه، فيما يرقد الرئيس في ساحة تيانانمين، أوردنا هنا اسم أكثر مستشاريه إخلاصًا له، وإن كان هذا الأمر قابلًا للنقاش.

3 - تعد هذه الرحلات ضمن تلك المحاولات القليلة في تاريخ الصين الهادفة للتوسع خارج حدودها التقليدية.

4 - ربما كان هذا الاسم القديم بمنزلة نموذج لروايات جيمس كلافيل (James Clavell) الرائعة عن هونغ كونغ (Taipan and Noble House).